البحث الثامن

"حركة الأفروسنتريك: الأصول، الادعاءات، والضرر الواقع على الهوية المصرية"

إعداد

ياسر رضا عبد العال

ملخص الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تقديم مساهمة في سبيل تفنيد أفكار حركة الأفروسنتريك حول الحضارة المصرية؛ وتتناول الدراسة كلًا من الأصول التاريخية والفكرية لحركة الأفروسنتريك، وأبرز ادعاءات الأفروسنتريك المتعلقة بمصر القديمة، وأوجه ضعف أفكار حركة الأفروسنتريك المتعلقة بمصر القديمة بالاعتماد على الدراسات الجينية والأثرية، والتأثير السلبي لحركة الأفروسنتريك على الهوية المصرية؛ تتبنى الدراسة المنهج الوصفي الوثائقي الذي يتضمن مراجعة مجموعة من الأدبيات ذات الصلة بموضوع البحث؛ وتوصلت الدراسة إلى عدد من الاستنتاجات العامة التي تتضمن الآتي: أن حركة الأفروسنتريك ليست حركة علمية ولكنها حركة تمخضت عن الرغبة في تمكين السود والتحرر من الميراث الاستعماري والاضطهادي الذي اتسم به ماضيهم، وأن حركة الأفروسنتريك تزعم بأن الأفارقة مرتبطون بالحضارة المصرية ارتباطًا وثيقًا عرقيًا ولغويًا وثقافيًا، وأن الدراسات الجينية والأثرية لا تدع مجالًا للشك بأن الرواية الأفروسنترية باطلة، وأن لحركة الأفروسنتريك العديد من الآثار السلبية المحتملة التي قد تؤدي إلى اختطاف التاريخ المصري القديم لصالح هذه الحركة؛ وفي ضوء النتائج، تقدم الدراسة عددًا من التوصيات التي تتضمن الآتي: ضرورة زيادة اهتمام وزارة الثقافة المصرية بتدشين المبادرات التوعوية حول عظمة الحضارة المصرية وحول مصريتها الخالصة الأصيلة، وتوظيف وسائل الإعلام المصرية لإمكاناتها، وبشكل خاص تلك القائمة على وسائل التواصل الاجتماعي، في التواصل مع العالم الخارجي لإبراز بطلان أفكار حركة الافروسنتريك.

الكلمات المفتاحية: المركزية الإفريقية – الحضارة المصرية – مصر القديمة .

Abstract:

This study aims to contribute to refuting the arguments of the Afrocentric ideas about the Egyptian civilization. The study discusses with the historical and intellectual origins of the Afrocentric movement, the most prominent Afrocentric claims related to ancient Egypt, the weaknesses of the Afrocentric movement's arguments related to ancient Egypt based on genetic and archaeological studies, and the negative impact of the Afrocentric movement on the Egyptian identity. The study adopts the descriptive desk research approach, which includes a review of a range of literature related to the research topic. The study obtained a number of general conclusions, which include the following: The Afrocentric movement is not a scientific movement but rather a movement that emerged from the desire to empower blacks and liberate them from the colonial and oppressive legacy that characterized their past; the Afrocentric movement claims that Africans are closely linked to the Egyptian civilization ethnically, linguistically, and culturally; genetic and archaeological studies leave no room for doubt that the Afrocentric narrative is false; and the Afrocentric movement has many potential negative effects that may lead to the hijacking of ancient Egyptian history in favor of this movement. In the light of the findings, the study presents a number of recommendations, which include the following: The Egyptian Ministry of Culture should allocate care to launching awareness initiatives about the greatness of the Egyptian civilization and its pure, authentic Egyptian identity; and the Egyptian media should employ its capabilities, especially those based on social media, in communicating with the outside world to highlight the invalidity of Afrocentric arguments.

Keywords: Afrocentrism – Egyptian civilization – Ancient Egypt.

المقدمة:

شهدت الساحة الثقافية والأكاديمية في السنوات الأخيرة انتشارًا متزايدًا لفكر الأفروسنتريك، وهو تيار فكري يسعى إلى إعادة قراءة التاريخ من منظور أفريقي مركزي، بادعاء إعادة الاعتبار لدور الأفارقة في بناء الحضارات القديمة؛ وتُدم هذه الحركة نفسها كرد فعل على هيمنة الروايات الغربية التي أهملت – بحسب زعمهم – التأثير الأفريقي على تطور الحضارة الإنسانية، وقد باتت الحضارة المصرية القديمة، بما تملكه من عراقة وأصالة، هدفًا رئيسيًا لأفكارهم ومحورًا لمحاولاتهم المستمرة لنسبتها إلى الثقافات الأفريقية جنوب الصحراء.

حيث تزعم حركة الأفروسنتريك أن المصريين القدماء كانوا زنوجًا ينتمون للعرق الإفريقي جنوب الصحراء، وأن الحضارة المصرية هي امتداد مباشر للثقافات الأفريقية الأخرى مثل ثقافات السودان وغرب أفريقيا؛ هذه الادعاءات التي تستند إلى تفسيرات مشوهة للنصوص التاريخية، والاعتماد على أدلة انتقائية؛ غير واقعية ولا تتناسب مع السياق التاريخي.

وتستند حركة الأفروسنتريك في ادعاءاتها على تفسيرات واهية ومغلوطة للنصوص التاريخية والقطع الأثرية، كما تستغل بعض الشهادات القديمة التي كُتبت في عصور افتقرت إلى أدوات البحث العلمي الدقيق، كما يقومون بمقارنة سطحية بين الفنون والعمارة المصرية وبعض الثقافات الأفريقية الأخرى، متجاهلين الخصوصية الفريدة للحضارة المصرية وتاريخها الممتد عبر آلاف السنين.

بالإضافة إلى ذلك، يُنتقد انزلاق فكر الأفروسنتريك إلى أيديولوجيات عنصرية، رغم مبدأ من مبادئها وهو محاربة العنصرية الغربية، ففي بعض الأحيان تُستخدم هذه الحركة كمبرر لمواقف استعلائية على المجتمعات غير الأفريقية، ما يؤدي إلى تعزيز الكراهية والتحريض ضد الآخرين، خاصة في سياقات سياسية واجتماعية مضطربة، كما أن محاولة إعادة بناء الهوية الأفريقية على أسس ثقافية وعرقية قد تفتح الباب أمام تعزيز الأيديولوجيات المترسخة في الجوانب السلبية من التاريخ الأفريقي، مثل العبودية والحروب الداخلية، بدلاً من معالجة هذه القضايا بنقد ذاتي منفتح.

إن هذا الفكر، على الرغم من محاولته تعزيز الهوية الأفريقية وتاريخها، إلا أنه يؤدي في كثير من الأحيان إلى تزوير الحقائق التاريخية ونشر روايات غير مدعومة علمياً، مما يضر بفهمنا الدقيق للتراث الإنساني؛ خاصة فيما يتعلق بتاريخ مصر القديمة وفي هذا البحث، سنقوم بتحليل الأسس التي يعتمد عليها فكر الأفروسنتريك حول الحضارة المصرية، وتقديم تفنيد علمي وتاريخي لهذه الادعاءات بالاعتماد على مصادر موثوقة ودراسات حديثة.

مشكلة البحث:

إن الخطورة الحقيقية لفكر الأفروسنتريك تكمن في أنه يتجاوز حدود الجدل الفكري إلى محاولات تزوير التاريخ وفرض سرديات غير مدعومة علميًا وأكاديميًا؛ فبينما تُثبت الدراسات الحديثة في مجالات الأنثروبولوجيا وعلم الجينات والآثار أن المصريين القدماء كانوا شعبًا ذا هوية مميزة، تجمع بين التفاعل مع بيئتهم المحيطة وابتكارهم لتقاليد حضارية فريدة، يستمر أنصار فكر الأفروسنتريك في نشر رواياتهم غير العلمية من خلال وسائل الإعلام ومنصات التواصل الاجتماعي وحتى المعارض والمتاحف العالمية، بهدف تحقيق مكاسب أيديولوجية وسياسية.

وتجدر الإشارة إلى أن الادعاءات التي يروجها هذا التيار تضر ليس فقط بتراث الحضارة المصرية، بل بتقدير الشعوب الأفريقية نفسها لتاريخها الحقيقي، فبدلًا من الاحتفاء بإنجازات الثقافات الأفريقية المختلفة بما فيها ممالك غرب وشرق أفريقيا، يسعون لفرض تبعية زائفة للحضارة المصرية، وهو أمر يفتقر إلى المنطق التاريخي والعلمي.

وتتمثل مشكلة البحث الحالي في ندرة الدراسات التي تناولت فكر الأفروسنتريك وتأثيره السلبي على الهوية المصرية والحضارة المصرية القديمة حيث تسببت حركة الأفروسنتريك في نشر مفاهيم مغلوطة حول التاريخ المصري القديم وتقوم بتجاهل الأدلة الأثرية والجينية التي تثبت الأصل المميز للحضارة المصرية القديمة.

أهداف البحث:

إن الهدف من هذا البحث هو تفنيد الادعاءات الأساسية لحركة الأفروسنتريك، وإظهار الضرر الذي تلحقه هذه الحركة بالهوية المصرية، سواء من الناحية الثقافية، أو التاريخية، أو السياسية؛ ويمكن إبراز أهداف البحث فيما يلي:

1. الكشف عن الأصول التاريخية والفكرية لحركة الأفروسنتريك.
2. مناقشة أبرز ادعاءات الأفروسنتريك المتعلقة بمصر القديمة.
3. تفنيد ادعاءات حركة الأفروسنتريك المتعلقة بمصر القديمة بالاعتماد على الدراسات الجينية، الأثرية.
4. توضيح التأثير السلبي لحركة الأفروسنتريك على الهوية المصرية.

مصطلحات البحث:

المركزية الإفريقية (الأفروسنتريك):

عرفتها (عبد المجيد، 2021، ص109)[1] بأنها الحركة الناجمة عن الفلسفة التي أنتجها فلاسفة القارة السمراء ذوي البشرة الداكنة من دول جنوب الصحراء الكبرى الإفريقية سواء اللذين عاشوا داخل القارة الإفريقية أو خارجها وتستبعد فكري فلاسفة مفكري دول شمال إفريقيا ذوي البشرة الفاتحة من الناطقين بالعربية أو غيرها.

وعرفها (Jerome H, 1997; 21)[2] بأنه إطار فكري يُركز على وضع أفريقيا كجزء أساسي ومحوري في تفسير ودراسة الظواهر الثقافية والتاريخية، بدلاً من الاعتماد على الإطارات الغربية التي غالبًا ما تهمش أو تُحرف دور أفريقيا في التاريخ.

ويعرفها الباحث إجرائياً بأنها حركة فكرية ثقافية ظهرت في أواخر القرن العشرين، تسعى إلى إعادة تأطير التاريخ والثقافة العالمية من منظور المنتسبين لجنوب الصحراء الكبرى الأفريقية، وإبراز مساهماتهم الحضارية في مختلف المجالات، وتدعي أن التاريخ العالمي تم تحريفه من خلال منظور أوروبي مركزي، مما أدى إلى تهميش وتشويه إنجازات الشعوب الإفريقية

الهوية الوطنية:

يعرف (السيد، 2021، ص328)[3] الهوية الوطنية بأنها هي المعبر عن الانتظام العام في المجتمع وفق مبدأ أخلاقي ضمن نسيج مجتمعي متماسك قائم على التعاون والمحبة واحترام العادات والتقاليد والأسرة والبيئة والمسك بالقيم الدينية السائدة واحترام الرأي الآخر ومعتقده ووجهة نظره.

وتعرفها (عبد الرحيم، 2021، 2، ص1596)[4] بأنها كل ما يميز الشخص أو المجموعة عن غيرهم ويكون مرتبطاً بالبيئة والثقافة المحيطة بهم، والهوية المصرية تكونت من مجموعة من الحضارات المتراكمة بدءاً من قدماء المصريين وحتى الآن.

ويعرفها الباحث إجرائياً بأنها: الإحساس بالانتماء إلى الوطن بما يشمله من قيم وثقافة وتاريخ وجغرافيا ومؤسسات؛ فهي الرابط الذي يربط الفرد بوطنه، ويعكس شعوره بالفخر والانتماء والالتزام نحو بلاده، كما أنها المُحدد للسمات المميزة للوطن وأبنائه عن بقية الشعوب والأمم.

---

[1] عبد المجيد، غيضان السيد (2021). الفلسفة الإفريقية البحث عن الهوية ورفض المركزية الغربية، مجلة الفكر المعاصر، الهيئة العامة للكتاب، ع23، ص ص 109-125..

[2] Jerome H. Schiele (1997). An Afrocentric perspective on social welfare philosophy and policy, the journal of sociology&social welfare, 24, 2, pp 21-39.

[3] السيد، يحيى مصطفى كمال الدين (2021). وسائط الجامعات لتنمية الهوية الوطنية: دراسة مقارنة في مصر وفرنسا واليابان، مجلة كلية التربية في العلوم التربوية، جامعة عين شمس، مج45، ع1، ص ص 317-435.

[4] عبد الرحيم، منى إبراهيم (2021). الهوية المصرية كمصدر ابداعي للحملات الاعلانية الترويجية دراسة تجريبية للإعلان عن افتتاح المتحف المصري الكبير، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية، المؤتمر الدولي السابع، التراث والسياحة والفنون بين الواقع والمأمول، ص ص 1594-1617.

الإطار النظري للبحث:

ظهور ونشأة حركة "الأفروسنتريك":

يعود أصل مصطلح "Afrocentric" إلى الكلمة الإنجليزية "Afro" التي تشير إلى أفريقيا أو الثقافة الأفريقية، و "centric" التي تعني "المركزي" أو "المحوري"، وبالتالي، فإن التسمية تعني "المركزيّة الأفريقية" أو "مركزية الثقافة الأفريقية" ويعود تاريخ هذه الحركة إلى السبعينيات من القرن العشرين، عندما أصبحت الحركات الحقوقية وحركات التحرر من الاستعمار والمطالبة بالمساواة في الولايات المتحدة وفي باقي أنحاء العالم الأفريقي أكثر قوة؛ وقد كان الهدف من استخدام هذا المصطلح هو إعادة توجيه الاهتمام إلى إفريقيا وهويتها الثقافية، بعيدًا عن التأثيرات الاستعمارية والثقافية الغربية التي طغت عليها لقرون طويلة. (Asante, M. K, 1987)[1]

وبدأت الأفكار التمهيدية لحركة الأفروسنتريك بالظهور كرد فعل على النظريات العنصرية الأوروبية التي أنكرت دور الأفارقة في الحضارة الإنسانية، وطرح بعض المفكرين الأوائل مثل وليام دوبوا أفكارًا عن ضرورة الاعتراف بمكانة الأفارقة في التاريخ؛ بدأ هذا الطرح بالتصاعد في الولايات المتحدة بين المجتمعات ذات الأصول الأفريقية، خاصة بعد فترة العبودية والتمييز العنصري.

وبدأت فكرة "المركزية الأفريقية" بالظهور في الولايات المتحدة كجزء من الحركة الفكرية التي نشأت داخل الشتات الأفريقي؛ وفي ذلك الوقت كانت هناك محاولات لتطوير فهم أكثر إيجابية وتقديرًا للهوية الأفريقية، وخلق واعي زائف بين الأمريكيين من أصول أفريقية، الذين كانوا يسعون إلى استعادة فخرهم وثقتهم بأنفسهم، مع محاولة العودة إلى جذورهم الثقافية والتاريخية. (Karenga, M, 1982)[2].

العوامل التي ساهمت في ظهور حركة "ألأفروسنتريك"

1. **تجارة العبيد والشتات الأفريقي:**

شهدت القارة الأفريقية واحدة من أفظع الفترات التاريخية مع تجارة العبيد عبر المحيط الأطلسي التي دامت لعدة قرون وقد استهدفت هذه التجارة جلب ملايين الأفارقة إلى العالم الجديد كعبيد، مما أدى إلى تمزيق الروابط الثقافية والعرقية للأفراد الأفارقة وبعد انتهاء العبودية، بدأ العديد من الأفراد من أصول أفريقية في الشتات بمراجعة هويتهم الثقافية من جديد، محاولين استعادة وعيهم الثقافي الذي فقدوه بسبب العبودية لأن الشتات الأفريقي شكل في كل من أمريكا الشمالية

[1]Asante, M. K. (1987). Afrocentricity: The Theory of Social Change. African American Images.

[2] Karenga, M. (1982). Introduction to Black Studies. University of Sankore Press.

والجنوبية وأوروبا بيئة خصبة لتطوير المفاهيم وأفكار حركة الأفروسنتريك. (Milofsky, A., & Rinke, C. ,2006)[1]

2. **حركات الحقوق المدنية و"الفكر الأسود":**

في الولايات المتحدة الأمريكية، كانت حركة الحقوق المدنية في الخمسينيات والستينيات بمثابة نقطة انطلاق لأفكار جديدة حول الهوية الزنجية وكان الناشطون مثل مالكولم إكس، ومارتن لوثر كينغ، وجيمس بالدوين، وغيرهم من القيادات الفكرية، يطالبون بحقوق متساوية للأميركيين الزنوج مقارنة بالأمريكيين البيض، وظهرت فكرة "**الفكر الأسود**" خلال هذه الفترة، وركزت على النهوض بهوية السود والاعتزاز بها بعيدًا عن ثقافة الهيمنة البيضاء؛ في هذا السياق، أصبح مصطلح "الفكر الأفروسنتري" أداة لرفض الهيمنة الثقافية الغربية في فهم التاريخ والهوية.

3. **الإيمان بالرواية الغربية حول أفريقيا:**

تم تصوير القارة الأفريقية لقرون على أنها "قارة مظلمة" تفتقر إلى التاريخ والحضارة وتعمقت هذه الأساطير من خلال الأدب الغربي، حيث كان يتم تصوير الأفارقة بشكل متخلف وغير قادرين على الازدهار؛ لكن مع ظهور حركة الأفروسنتريك، بدأ العديد من المفكرين الأفارقة في إعادة كتابة تاريخ إفريقيا والتأكيد على العظمة التاريخية للقارة حيث كان الهدف هو إزالة هذا التشويه الثقافي وإعادة كتابة التاريخ من منظور أفريقي. (Fanon, F. ,1963)[2]

ويتضح مما سبق أن دوافع فكرة الأفروسنتريك أغلبها دوافع فئوية شخصية لا تهدف لإصلاح المجتمعات كما تدعي ... بل تُخفي وراء تلك الدوافع قائمة من العُنصرية وشعور بالمظلومية، ورغبة مُلحة في عدم الشعور بالدونية، ورغبة شديدة في تحقيق المساواة مع الأعراق الأخرى في أواسط المجتمعات في العالم خصوصا المجتمعات الغربية متجاهلين أن في العصر الحديث أخلاق وأفعال البشر هي من تحدد مكانتهم في المجتمع وليس عرقهم أو لونهم.

أبرز ادعاءات الأفروسنتريك المتعلقة بمصر القديمة:

1. ***الهوية الأفريقية (الزنجية) للمصريين القدماء***

- يزعمون أن المصريين القدماء كانوا ينتمون إلى العرق الأفريقي (الزنجي) الذي كان يسكن جنوب الصحراء الكبرى، وأنهم ذوو بشرة سوداء مشابهة لسكان مناطق النوبة وشرق إفريقيا.

[1]Milofsky, A., & Rinke, C. (2006). Book Review: Afrocentricity: A Theory of Social Change. Urban Education, 41(1), 101-111.

[2]Fanon, F. (1963). The Wretched of the Earth (C. Farrington, Trans.). Grove Press.

- يستشهدون بتماثيل بعض المصريين القدماء وبخصائصها المميزة مثل الأنف العريض والشفتين الممتلئتين، على أنها سمات إفريقية.
- يستدلون أيضًا بتماثيل ترجع للأسرة الكوشية (الأسرة الخامسة والعشرين) فيها اللون الداكن للبشرة.
- يرفضون الادعاء بأن الألوان في الفن المصري كانت رمزية أو تعبيرًا عن الحالة الاجتماعية أو الجغرافيا (مثل اللون الأحمر للرجال العاملين في الشمس– واللون القمحي للرجال الإداريين– واللون الأصفر للنساء) كما هو مُصور على مختلف المعابد والمقابر والبرديات المصرية القديمة.

2. *اللغة المصرية القديمة وأصولها الأفريقية*

- يدعي الأفروسنتريك أن اللغة المصرية القديمة تنتمي إلى مجموعة اللغات الإفريقية (مثل اللغات النيلية الصحراوية أو الكوشية أو البانتو)، وليس إلى مجموعة اللغات الأفرو– آسيوية كما يؤكد علماء اللُغة.
- يستشهدون بتشابه كلمات معينة بين اللغة المصرية القديمة وبعض اللغات الإفريقية.

3. *الروابط الثقافية بين مصر وكوش*

- يربطون الحضارة المصرية القديمة بحضارة كوش، ويزعمون أن المصريين القدماء الأوائل كانوا نوبيين أو من أصول كوشية.
- يؤكدون أن التأثيرات الثقافية الإفريقية واضحة في الفن والعمارة المصرية.
- يستدلون بأن الملوك الكوشيين حكموا مصر خلال الأسرة الخامسة والعشرين، ما يعزز فكرة الأصل الأفريقي العميق للحضارة المصرية.

4. *الاستمرارية بين الحضارات الأفريقية*

- يدعون أن حضارة مصر القديمة لم تكن منفصلة عن بقية إفريقيا، بل كانت جزءًا من شبكة حضارات أفريقية واسعة، تشمل النوبة، وأثيوبيا، وشرق إفريقيا.
- يؤكدون أن عناصر مثل العمارة الهرمية يمكن العثور عليها في مناطق أفريقية أخرى، مثل السودان ونيجيريا (مثل الأهرامات النوبية وأشكال البناء التقليدي).

ومما سبق يمكننا نقد تلك الادعاءات التي قاموا بالترويج لها حول مصر القديمة سببها أن مصر القديمة تعد واحدة من أقدم الحضارات وأعظمها تأثيرًا في العالم فقد حققت إنجازات استثنائية في مجالات العلوم، والرياضيات، والهندسة، والطب، والفن، والفكر الديني؛ وبسبب هذا الإرث

العظيم، يسعى الأفروسنتريك إلى ربط إفريقيا، وخاصة مناطق جنوب الصحراء الكبرى، بهذا الإرث الحضاري لإثبات عظمة القارة الإفريقية.

كما تؤكد تلك الادعاءات سعى الأفروسنتريك إلى تمكين الأفارقة من الشعور بالفخر بأصولهم، وبالتالي تحسين الصورة الذاتية للأفارقة في مواجهة قرون من الاستعباد والاستعمار، وإرجاع أصول الحضارة المصرية إلى إفريقيا يدعم هذا التوجه.

تفنيد ادعاءات حركة الأفروسنتريك المتعلقة بمصر القديمة:

أولاً: الأدلة الجينية

الدراسة الأولى: دراسة 1(Pagani et al. 2015) بعنوان (تتبع مسار خروج البشر الحديثين من إفريقيا باستخدام تسلسل الجينوم البشري لـ225 فردًا من الإثيوبيين والمصريين).

1. أهداف الدراسة:

هدفت تلك الدراسة إلى: تحديد المسار الذي سلكه البشر الحديثون عند خروجهم من إفريقيا، حيث تشير الدراسات السابقة إلى احتمال وجود مسارين رئيسيين:

- **المسار الشمالي** :عبر مصر وسيناء وصولاً إلى أوراسيا.
- **المسار الجنوبي** :عبر إثيوبيا ومضيق باب المندب إلى شبه الجزيرة العربية.

2. منهجية الدراسة:

تم تحليل 225 تسلسل جيني كامل من ست مجموعات إفريقية شمال شرق إفريقيا:

- 100 فرد مصري يمثلون السكان الحاليين لمصر.
- 125 فردًا من خمس مجموعات إثيوبية (25 فردًا لكل من الأمهرة، الأورومو، الصومالي الإثيوبي، ولّاييتا، والجموز) يمثلون السكان الحاليين للأفارقة.

3. الأدوات المستخدمة في الدراسة:

- تقنية التسلسل (Illumina HiSeq 2000).
- أدوات إحصائية مثل (PCA وADMIXTURE) لتحليل التداخل الجيني وتحديد الأصول.
- تم "إخفاء" الأصول الجينية القادمة من غرب أوراسيا للتركيز على المكونات الإفريقية الأصلية.

4. نتائج الدراسة:(Results)

[1]Pagani, L., Schiffels, S., Gurdasani, D., & et al. (2015). Tracing the route of modern humans out of Africa by using 225 human genome sequences from Ethiopians and Egyptians. American Journal of Human Genetics, 96(6), 986–991.

- الجينومات المصرية والإثيوبية تظهر تشابهات مع الجينومات غير الإفريقية، لكن المصريين أظهروا تشابهًا أكبر.

التقديرات الزمنية:

- المصريون انفصلوا جينيًا عن السكان غير الإفريقيين قبل حوالي (55000) سنة.
- الإثيوبيون انفصلوا جينيًا قبل (65000) سنة.
- المصريون أكثر احتمالًا أن يكونوا عبروا المسار الشمالي إلى خارج إفريقيا مقارنة بالإثيوبيين.

5. التحليلات الجينية:(Genetic Analyses)

- تم استخدام أدوات إحصائية متقدمة لتحديد العلاقة بين المصريين والإثيوبيين والجينومات غير الإفريقية.
- المصريون أظهروا مستويات أعلى من التشابه مع الجينومات الأوروبية والآسيوية مقارنة بالإثيوبيين.

ويتضح لنا من هذه الدراسة العلمية الجينية أن الجين المصري يختلف تماماً عن الجين الإفريقي الذي تتدعي حركة الافروسنتريك أنه أساس الجين المصري ومصدرة الرئيس.

الدراسة الثانية: دراسة [1](Schuenemann et al. 2017) بعنوان (الجينومات القديمة للمومياوات المصرية تشير إلى زيادة أصول أفريقية جنوب الصحراء في فترات ما بعد الرومان)

1. **أهداف الدراسة**

- **تحليل التغيرات الجينية عبر الزمن في مصر القديمة:** من خلال دراسة الجينومات القديمة لمومياوات مصرية لتحديد التحولات في التركيبة الجينية للسكان.
- **استكشاف أثر الغزوات والهجرات الأجنبية:** من خلال تقييم تأثير الهيمنة الأجنبية، مثل الإغريق والرومان، على التركيبة الجينية للسكان القدماء في مصر.
- **تحديد أصول المصريين القدامى مقارنة بالمعاصرين:** من خلال مقارنة الجينات المصرية القديمة مع الجينات الحديثة لتحديد مدى التغيرات الجينية، مع التركيز على الأصول الأفريقية جنوب الصحراء.
- **فهم ديناميات الهجرة والتداخل الجيني:** من خلال دراسة كيفية تداخل السكان المصريين القدماء مع سكان الشرق الأدنى وأوروبا، بالإضافة إلى تحليل التأثير الأفريقي في الألفيتين الأخيرتين.

[1]Schuenemann, V. J., Peltzer, A., Welte, B., & et al. (2017). Ancient Egyptian mummy genomes suggest an increase of Sub-Saharan African ancestry in post-Roman periods. Nature Communications, 8(1), 15694.

- **استخدام الحمض النووي القديم كأداة لفهم التاريخ:** من خلال إثبات فعالية الحمض النووي القديم في تقديم رؤى دقيقة حول التغيرات السكانية التي لا يمكن استنتاجها من الأدلة الأثرية أو النصوص التاريخية فقط.

2. منهجية الدراسة:

تم اختيار (166) عينة تعود إلى 151 فردًا مومياء من موقع أثري واحد في مصر، وهو أبو صير الملق، الذي يقع في وسط مصر وتغطي العينات تغطي فترة زمنية تبدأ من عصر المملكة الحديثة إلى الفترة المتأخرة في مصر القديمة:

- تم تقسيم العينات بناءً على التحليلات الإشعاعية (الكربون المشع) إلى فترات زمنية محددة.
- تم استخدام بقايا عظمية، أنسجة ناعمة، وأسنان للحصول على الحمض النووي وتحليل مدى بقائه في هذه الأنسجة.
- تم استخراج الحمض النووي القديم من أنسجة مختلفة لضمان أصالة العينات، مع اختبار وجود التلوث المحتمل.
- استخدام الحمض النووي الميتوكوندري :(mtDNA) لدراسة العلاقات الجينية من خلال الأمهات عبر الأجيال.
- استخدام الحمض النووي :(nuclear DNA) للحصول على بيانات أوسع عن التركيبة الجينية، بما في ذلك الصفات الموروثة من كلا الوالدين.

3. الأدوات المستخدمة في الدراسة:

- **تقنيات التسلسل عالي الكفاءة :(High-throughput DNA sequencing)** باستخدام منصة (Illumina).
- تقنية "**الالتقاط المغناطيسي**" لاستخراج الحمض النووي الميتوكوندري بدقة.
- مؤشرات جينية متعددة لدراسة تعدد أشكال النوكليوتيدات (SNPs) .

4. نتائج الدراسة:(Results)

- أظهرت نتائج التحليل الجيني أن المصريين القدماء يشتركون في أصول جينية أوثق مع سكان الشرق الأدنى **(مثل منطقة الهلال الخصيب وبلاد الشام وأوروبا القديمة)**، مقارنة بالمصريين المعاصرين.
- التركيبة الجينية للمومياوات القديمة كانت متجانسة نسبيًا عبر الفترات المختلفة (ما قبل البطلمية، البطلمية، والرومانية)، مما يشير إلى استقرار نسبي في السكان القدماء وعدم وجود تغييرات جذرية في تكوينهم الجيني خلال هذه الفترات.

- المصريون القدماء لم يُظهروا نسبًا كبيرة من الأصول الأفريقية جنوب الصحراء، مما يعزز فكرة أن التدفق الجيني الأفريقي كان ظاهرة لاحقة تحديداً آخر (2000 سنة) أي من عصر الدولة الرومانية تقريباً وذلك بسبب **تجارة الرقيق عبر الصحراء**، التي شهدت نقل ملايين الأفراد من أفريقيا جنوب الصحراء إلى شمال أفريقيا بعد انتهاء التاريخ المصري القديم.
- أظهرت تحليلات الحمض النووي الميتوكوندري للمومياوات القديمة أن المصريين القدماء ينتمون إلى مجموعات وراثية (Haplogroups) شائعة في الشرق الأدنى وأوروبا.
- كانت نسب الخطوط الوراثية الأفريقية مثل (L0–L4) في المصريين القدماء منخفضة جدًا، بينما زادت بشكل ملحوظ في المصريين المعاصرين (20% تقريبًا) بسبب هجرات العبيد في آخر (2000سنة).

وعلى الرغم من الاعتراف بأن السكان المصريين القدماء كانوا "مختلطين"، وهي حقيقة أكدتها جميع التحليلات الأنثروبولوجية، فإن الباحثون يؤكدون مع ذلك عن "عرق" مصري، ويربطونه بنوع بشري محدد جيدًا، وهو الفرع الأبيض "الحامي"، والذي يُطلق عليه أيضًا "القوقازي" أو "المتوسطي"، أو "الأوروبي"، أو "الأوروبي الأفريقي" ولا ينتمي للعرق الإفريقي المتعارف عليه علمياً.1(Vercoutter, J. ;1978)

ومن خلال نتائج تلك الدراسات الجينية يتضح لنا بما لا يدع مجال للشك أن المصريين القدماء لم تكون لهم أي أصول أفريقية تُذكر وأن المكون الأكبر في جينات المصريين القدماء هي نفس جينات منطقة الهلال الخصيب وبلاد الشام وأوروبا القديمة.

ثانياً: الأدلة الأثرية

النقوش المصرية القديمة تقدم تمثيلات واضحة للمصريين القدماء وتميزهم عن المجموعات الإفريقية الأخرى، مثل النوبيين؛ حيث يظهر المصريون بملامح مميزة تشمل البشرة الفاتحة أو البنية، مع أنوف مستقيمة وعيون لوزية، في حين يتم تصوير النوبيين ببشرة داكنة وملامح مختلفة.

"كان المصريون القدماء يُميزون أنفسهم بوضوح عن المجموعات الإفريقية جنوب الصحراء من خلال الفنون والنقوش". [2].(Petrie Museum, 1910)

وأمثلة على النقوش جدران معبد الأقصر والنقوش في مقبرة "رعمسيس الثالث"، حيث تُظهر النقوش أربع مجموعات عرقية متميزة: المصريين، النوبيين، الآسيويين، الليبيين.

[1] Vercoutter, J. (1978). The peopling of ancient Egypt. In UNESCO (Ed.), *The Peopling of Ancient Egypt and the Deciphering of Meroitic Script* (pp. 15-36). UNESCO.

[2]Petrie, W. M. F. (1910). *The Arts and Crafts of Ancient Egypt*. London: T. N. Foulis

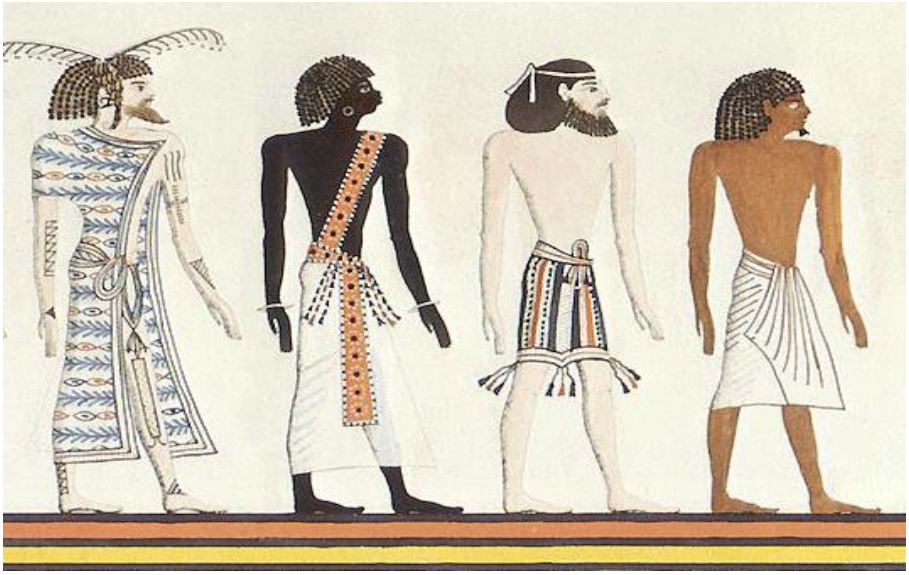

نقوش مقبرة "رعمسيس الثالث"

توضح الصورة أربعة أشخاص يمثلون أجناس العالم الأربعة؛ فواحد منهم يمثل الجنس الآسيوي بذقن مدببة وقميص ملون، والثاني — وهو أسود اللون — يمثل الجنس الزنجي، والثالث يمثل الجنس اللوبي، ويتميز بالريشة التي على رأسه وجسمه الموشوم، والرابع هو المصري.

ثالثاً: الأدلة التاريخية

النصوص المصرية القديمة مثل "نصوص التوابيت" و"بردية إيبور" تُظهر وعيًا واضحًا بالهوية المصرية، التي كانت تُميز نفسها عن النوبيين في الجنوب والآسيويين في الشرق، ومن نصوص "حائط سيتى الأول" في معبد الكرنك النص التالي: (المصريون هم أبناء رع (إله الشمس)، ويختلفون عن النوبيين (كوش) في الجنوب الذين يظهرون ببشرة داكنة وشعر مجعد).

ويؤكد المؤرخ البريطاني باسل ديفيدسون أن: الحضارة المصرية تطورت بشكل مستقل مع تأثيرات طفيفة من الجنوب، ولكنها لم تكن نتاجًا مباشرًا لثقافات إفريقيا جنوب الصحراء". (Davidson, 1991)[1]

وهناك الكثير من النصوص أيضا التي تدل على أن العلاقات بين مصر والنوبة كانت غالبًا ما تتسم بالنزاع العسكري، مما يدل على تمايز ثقافي وعرقي واضح بين الشعبين.

[1]Davidson, B. (1991). *Africa in History: Themes and Outlines*. New York: Simon & Schuster.

التأثير السلبي لحركة الأفروسنتريك على الهوية المصرية:

1. تشويه الهوية التاريخية للحضارة المصرية

- تسعى حركة الأفروسنتريك إلى إعادة صياغة التاريخ المصري لتجعل من مصر القديمة امتدادًا مباشرًا لجنوب الصحراء الكبرى، متجاهلة البُعد الجغرافي والتاريخي لمصر كدولة تقع على ملتقى ثلاث قارات.
- هذا الطرح يقفز على الحقائق الأثرية التي تؤكد تميز الهوية المصرية وارتباطها بموقعها الجغرافي الخاص بوادي النيل، حيث كانت مصر مركزًا لتفاعل ثقافات متعددة، وليس نتاجًا لحضارة إفريقية سوداء خالصة.
- من خلال التركيز على هذا الادعاء، تُضعف الحركة ارتباط المصريين المعاصرين بجذورهم الحضارية، حيث يتم تصويرهم على أنهم "غزاة" أو "دخلاء" على أرضهم، مما يخلق شعورًا بالاغتراب عن التراث المصري القديم.

2. طمس التنوع الثقافي والجغرافي للحضارة المصرية

- الحضارة المصرية القديمة كانت غنية بفضل التفاعل مع شعوب الشرق الأدنى والبحر المتوسط وأفريقيا جنوب الصحراء، لكن الأفروسنتريك تحصر أصولها في بُعد أحادي، مما يؤدي إلى طمس هذا التنوع.
- التركيز على البُعد الإفريقي فقط يُلغي التأثيرات الأخرى التي ساهمت في بناء الحضارة المصرية، مثل التبادلات الثقافية والتجارية مع الحضارات السومرية والفينيقية واليونانية.
- هذا النهج التبسيطي يُقلل من فهم الأثر الحضاري لمصر القديمة، التي كانت مركزًا عالميًا يجمع بين التأثيرات الإفريقية والشرق أوسطية والمتوسطية في آنٍ واحد.

3. خلق انقسام ثقافي بين مصر وبقية دول إفريقيا

- بالرغم من ارتباط مصر التاريخي بدول إفريقيا عبر نهر النيل، فإن محاولة الأفروسنتريك جعل مصر جزءًا من جنوب الصحراء الكبرى فقط تتجاهل ارتباطها بجيرانها في شمال إفريقيا وشرق المتوسط.
- هذا الطرح يضع مصر في موقع مختلف عن سياقها الطبيعي كدولة متعددة الهوية الثقافية، مما يعزلها عن عمقها العربي والإسلامي، ويجعلها تبدو وكأنها تنتمي إلى فضاء ثقافي مختلف لا يتطابق مع تركيبتها السكانية الحالية.
- بدلًا من أن تسهم الأفروسنتريك في تعزيز الروابط الثقافية بين مصر وبقية إفريقيا، فإنها تُعزز الانقسامات من خلال فرض سردية تاريخية منفصلة وغير متوافقة مع الواقع.

4. تعزيز الاستقطاب الثقافي والعرقي

- من أبرز تأثيرات الأفروسنتريك أنها تُقدم صورة سلبية عن المصريين المعاصرين، حيث تزعم أن الشعب المصري الحالي لا يمت بصلة للحضارة المصرية القديمة، وإنما جاء نتيجة غزوات عربية وتركية وأوروبية لاحقة.
- هذه الادعاءات تُثير الانقسامات العرقية، خاصة بين المصريين وشعوب إفريقيا جنوب الصحراء، حيث تُوحي بأن الحضارة المصرية القديمة "سُرقت" أو "انتُزعت" من أصولها الإفريقية.
- مثل هذه الادعاءات تُضعف من شعور المصريين بالاعتزاز بتراثهم، وتُولد توترات بين الهويات المختلفة، ما يؤدي إلى تعزيز الشعور بالاغتراب الثقافي داخل المجتمع المصري نفسه.

5. تسييس التاريخ المصري

- الأفروسنتريك لا تتوقف عند حدود إعادة تفسير التاريخ، بل تُستخدم كأداة أيديولوجية وسياسية لتحقيق أهداف معينة، مثل محاولة تعزيز فكرة تفوق الهوية الإفريقية السوداء على حساب الهويات الأخرى.
- على المستوى الدولي، تُستخدم هذه الحركة في دعم دعاوى سياسية تتعلق بالهوية الثقافية والعرقية، مما يُعرقل الأبحاث العلمية التي تهدف إلى تقديم فهم محايد ودقيق للتاريخ.
- تسييس التاريخ يؤدي إلى تشويه الحقائق الأثرية وإدخالها في سياقات بعيدة عن العلم، مما يجعلها موضوعًا للجدل الأيديولوجي بدلاً من أن تكون أداة لفهم الماضي.

6. إضعاف الهوية القومية المصرية

- الهوية القومية المصرية متعددة الأبعاد، إذ تجمع بين التراث المصري القديم والقبطي والإسلامي والعربي، ما يجعلها غنية ومتفردة.
- عندما تركز الأفروسنتريك على جانب واحد فقط من الهوية، وهو الجانب الإفريقي، فإنها تُضعف هذا التنوع وتُحول الهوية المصرية إلى هوية أحادية.
- مثل هذا التحول يُهدد الهوية القومية المتماسكة ويجعلها عرضة للانقسامات الداخلية، حيث يفقد المصريون القدرة على رؤية أنفسهم كجزء من تاريخ غني متعدد الطبقات.

7. خلق صورة خاطئة عن الحضارة المصرية في الإعلام الدولي

- أفكار الأفروسنتريك تجد دعمًا واسعًا في وسائل الإعلام الغربية، حيث يتم تصوير مصر القديمة على أنها حضارة إفريقية سوداء خالصة، وهو تصور يتناقض مع الحقائق العلمية.
- هذه الصورة تُسيء فهم الحضارة المصرية وتُقلل من أهميتها كحضارة عالمية أثرت وتأثرت بمحيطها الجغرافي المتنوع.
- نتيجة لذلك، تُنتج وسائل الإعلام العالمية صورة مضللة تُهمش إسهامات المصريين في بناء حضارتهم وتُركز على سرديات لا تمت للواقع بصلة.

الخاتمة

قدمت الدراسة الحالية استعراضًا للمزاعم والادعاءات المقدمة من أنصار حركة الأفروسنتريك حول الحضارة المصرية وحول كون أسلاف المصريين زنوجًا؛ وأظهرت المناقشات المقدمة في الدراسة أن حركة الأفروسنتريك لم تكن بالأساس حركة علمية أو فكرية، ولكنها حركة تولدت من رحم رغبة ذوي البشرة السمراء، مثل الأمريكيين السود ولاحقًا من دعمهم من الأفارقة، في التحرر من الميراث الاستعماري والقمعي والاضطهادي الذي ظلوا قابعين تحته لقرون؛ ومن هنا يمكن القول بأن حركة الأفروسنتريك كانت مدفوعة بالأساس بمشاعر حماسية وليس بفكر علمي ممنهج؛ ولعل ذلك ما جعل حركة الأفروسنتريك ساعية إلى الانقضاض على كل موروث حضاري يمكن أن يعلي من مكانة الأفارقة السود بين الأمم، ولعل لا وسيلة أبلغ ولا أقوى لذلك من نسب الحضارة المصرية، التي تعد أعظم حضارات البشر قاطبة، إلى الأفارقة ذوي البشرة السمراء.

كما أبرزت الدراسة ضعف الادعاءات المطروحة من حركة الأفروسنتريك حول قوة حضور المكون الأفريقي في التاريخ المصري القديم؛ فهذه الادعاءات قائمة على افتراض وجود روابط بين المصريين والأفارقة، ولكن هذه الافتراضات لا تقدم أي أدلة دامغة على وجود علاقة وثيقة، سواء أكانت سببية أم ارتباطية تزامنية، على كون الحضارة المصرية القديمة قد نهلت من نهل أفريقي خالص؛ فالادعاءات الأفروسنترية قد تبدو في ظاهرها للرائي العادي صحيحة، ولكن ببعض التدقيق يمكن اكتشاف ما بها من مغالطات وغياب للمنهجية، ومن الممكن أيضًا ملاحظة ضعف وعدم موثوقية الوسائل التي تم من خلالها التوصل إلى هذه الادعاءات ؛ وقد أظهرت الدراسة زيف الادعاءات الأفروسنترية بمجموعة من الأدلة الجينية والأثرية التي تثبت ليس فقط عدم انتماء الحضارة المصرية إلى أصل أفريقي ولكن أيضًا كون الشعب المصري شعبًا شديد الاختلاف عن الشعوب الأفريقية سمراء البشرة؛ ولن يزعم أصحاب العقول الراجحة أن مجرد الاحتكاك بين شعبين يجعلهما شعبًا واحدًا.

وأخيرًا سلطت الدراسة الضوء على الآثار السلبية المحتملة لانتشار واستشراء الفكر الأفروسنتري؛ فإذا انتشر هذا الفكر وزاد عدد المقتنعين به سيؤدي ذلك إلى انتشار الرواية الأفروسنترية الزائفة حول الحضارة المصرية القديمة العظيمة؛ ويعني ذلك اختطاف التاريخ المصري من ورثته الحقيقيين؛ وهذا الأمر يستوجب النظر بعين الإمعان والاهتمام إلى ما يمكن فعله لدحض مزاعم حركة الأفروسنتريك عالميًا، وبشكل خاص لدى الشعوب المستهدفة بشراسة برسائل هذه الحركة، وعلى رأسها الشعوب الغربية؛ فما يعطي هذه الحركة زخمها هو علو صوتها، والأعلى صوتًا هو عادةً من يبلغ مراده، وليس الأبلغ حجة؛ لذلك فمن المهم للغاية تكثيف الحملات الإعلامية للتصدي لأباطيل حركة الأفروسنتريك عالميًا.

وفي ظل ما تم تناوله من مناقشات، تقدم الدراسة مجموعة من التوصيات التي يمكن إجمالها في الآتي:

- زيادة اهتمام وزارة الثقافة المصرية بتدشين المبادرات التوعوية حول عظمة الحضارة المصرية وحول مصريتها الخالصة الأصيلة، وذلك بالاستعانة بمعرفة وعلم وخبرات كبار علماء الآثار من المصريين وغير المصريين على حد السواء.
- توظيف وسائل الإعلام المصرية لإمكاناتها، وبشكل خاص تلك القائمة على وسائل التواصل الاجتماعي، في التواصل مع العالم الخارجي بلغاته المختلفة من أجل تفنيد الحجج الأفروسنترية الباطلة حول أصول وجذور الحضارة المصرية وإبراز عوارها وهشاشتها.
- تدشين حملات توعوية في المؤسسات التعليمية على اختلاف مستوياتها في عموم جمهورية مصر العربية، وذلك في سبيل وقاية النشء من تأثير الحملات الدعائية الأفروسنترية التي تستهدف الأطفال باعتبارهم هدفًا سهلًا لرسائلهم المضللة والكاذبة.

قائمة المراجع

أولاً: المراجع العربية

السيد، يحيى مصطفى كمال الدين (2021). وسائط الجامعات لتنمية الهوية الوطنية: دراسة مقارنة في مصر وفرنسا واليابان، مجلة كلية التربية في العلوم التربوية، جامعة عين شمس، مج45، ع1، ص ص 317-435

عبد الرحيم، منى إبراهيم (2021). الهوية المصرية كمصدر ابداعي للحملات الاعلانية الترويجية دراسة تجريبية للإعلان عن افتتاح المتحف المصري الكبير، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية، المؤتمر الدولي السابع، التراث والسياحة والفنون بين الواقع والمأمول، ص ص 1594-1617.

عبد المجيد، غيضان السيد (2021). الفلسفة الإفريقية البحث عن الهوية ورفض المركزية الغربية، مجلة الفكر المعاصر، الهيئة العامة للكتاب، ع23، ص ص 109-125.

ثانياً: المراجع الأجنبية

Asante, M. K. (1987). Afrocentricity: The Theory of Social Change. African American Images.

Davidson, B. (1991). *Africa in History: Themes and Outlines*. New York: Simon & Schuster.

Fanon, F. (1963). The Wretched of the Earth (C. Farrington, Trans.). Grove Press.

Jerome H. Schiele (1997). An Afrocentric perspective on social welfare philosophy and policy, the journal of sociology&social welfare, 24, 2, pp 21-39.

Karenga, M. (1982). Introduction to Black Studies. University of Sankore Press.

Milofsky, A., & Rinke, C. (2006). Book Review: Afrocentricity: A Theory of Social Change. Urban Education, 41(1), 101-111.

Pagani, L., Schiffels, S., Gurdasani, D., & et al. (2015). Tracing the route of modern humans out of Africa by using 225 human genome sequences from Ethiopians and Egyptians. American Journal of Human Genetics, 96(6), 986-991.

Petrie, W. M. F. (1910). *The Arts and Crafts of Ancient Egypt*. London: T. N. Foulis

Schuenemann, V. J., Peltzer, A., Welte, B., & et al. (2017). Ancient Egyptian mummy genomes suggest an increase of Sub-Saharan African ancestry in post-Roman periods. Nature Communications, 8(1), 15694.

Vercoutter, J. (1978). The peopling of ancient Egypt. In UNESCO (Ed.), *The Peopling of Ancient Egypt and the Deciphering of Meroitic Script* (pp. 15-36). UNESCO.